للمعنى وهو المعتمد وعليه يدل كلام المؤلف في الدر وعبارته اقروا الطير على مكناتها ومكنه بكسر الكاف وقد تفتح
اي بيضها وهي في الاصل بيض الضباب وقيل على امكنتها ومساكنها كان الرجل في الجاهلية الخ ما سيأتي
عن النهاية انتهى وعن البيهقي وعبارة الشارحين داله على الضبط الثاني المناسب للتفسير ولم يضبطه
الشيخ في الكبير ولم اعرف لتشديد النون وجه في هذا المعنى قال شيخ الحديث قال الخطابي قال ابو عبيد
قال ابو زيد الكلابي ولا يعرف للطير مكنات وانما هي الوكنات وهي موضع عش الطائر قال ابو عبيد تفسير
المكنات على غير هذا التفسير تقول لا تزجروا الطير ولا تلتفتوا اليها اقروها على مواضعها التي جعلها
الله لها من انها لا تضر ولا تنفع وكلاهما له وجه ثالث يحكى عن الشافعي انه قال كانت العرب تولع بالعيافة
وزجر الطير وكان العربي اذا خرج من بيته غاديا في بعض الحاجة نظر هل رأى طائرا يطير فيزجر
بسنوحه او بروحه فان لم ير ذلك عمد الى الطير الواقع على الشجر فحركه ليطير ثم ينظر اي جهة يأخذ
فيزجره فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اقروا الطير على امكنتها ولا تطيروها ولا تزجروها
وقال بعضهم قوله اقروا الطير على مكناتها فيه كالدلالة على كراهة صيد الطير بالليل انتهى وقال في
النهاية المكنات في الاصل بيض الضباب واحدها مكنة بكسر الكاف وقد تفتح يقال مكنت الضبة
وامكنت قال ابو عبيد جائز في الكلام يستعار مكن الضباب فيجعل للطير كما قيل مشافر الحبشي وانما
المشافر للابل وقيل المكنات بمعنى الامكنة يقال الناس على مكناتهم وسكناتهم اي على امكنتهم ومساكنهم
ومعناه ان الرجل في الجاهلية كان اذا اراد حاجة اتى طائرا ساقطا او في وكره فنفره فان طار ذات
اليمين مضى لحاجته وان طار ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك اي لا تزجروها واقروها على مواضعها
التي جعل الله لها فانها لا تضر ولا تنفع وقيل المكنة التمكن كالطلبة والتبعة من التطلب والتتبع يقال
ان فلانا لذو مكنة من السلطان اي ذو تمكن يعني اقروها على كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير
بها وقال الزمخشري يروى مكناتها بضمتين جمع مكن ومكن جمع مكان كصعدات في صعد وحمرات في
حمر وقال البيهقي في سننه مكناتها بخفض الكاف وهو بنصب الكاف ايضا فيما بلغني حدثنا ابو عبد الله
الحافظ ثنا ابو الوليد الفقيه ثنا ابراهيم بن محمود قال سال انسان يونس بن عبد الاعلى عن معنى قوله
اقروا الطير على مكناتها فقال ان الله يحب الحق ان الشافعي كان صاحب ذا سمعه يقول في تفسيره
كان الرجل في الجاهلية اذا اتى الحاجة اتى الطير في وكره فنفره فان اخذ ذات اليمين مضى لحاجته
وان اخذ ذات الشمال رجع فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال كان الشافعي نسيج
وحده في هذه المعاني انتهى والله اعلم
حديث اقسم الخوف والرجا لا يجتمعان في احد الخ قوله اقسم بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح
المهملة اي حلف قال في المصباح القسم بفتحتين اسم من اقسم بالله اقساما اذا حلف قوله الخوف هو

فزع

191

فزع القلب من مكروه يناله او محبوب يفوته وسببه تفكر العبد في المخلوقات كتفكره في تقصيره واهماله وقلة مراعاته
لما يرد عليه وكتفكره فيما ذكره الله تعالى في كتابه من اهلاك من خالفه وما اعد له في الآخرة وقد يعبر عن الخوف
بالفزع والروع والرهب والخيفة والخوف ممدوح ومطلوب وقال بعضهم الخوف قلة العلم بمجاري الاحكام اي
تصريف الله في خلقه من هداية واضلال وعافية ومرض وغيرها فمن قوي علمه بذلك لم يأمن على نفسه وان
كان في افضل المقامات والاحوال وهذا العلم سبب الخوف لا نفسه فعبر عنه بسببه وقيل الخوف حركة
القلب وقلقه من جلال الرب وعظمته فمن استشعر القلب نظر الرب اليه في حالته التي هو فيها وان كانت
افضل عباداته اضطرب قلبه واقشعر جلده ووجل كما قال الله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فائدة اعلم
ان الخوف معنى يوجد متعلقه في المستقبل كما تقدم في حده لان العبد انما يخاف ان يحل به مكروه او يفوته
محبوب ولا يكون هذا الا لشيء يحصل في المستقبل فاما ما يكون في الحال موجودا او وجد في الماضي فالخوف
لا يتعلق به والخوف من الله تعالى هو ان يخاف العبد ان يعاقبه الله اما في الدنيا واما في الآخرة وليس
الخائف من يبكي ويمسح عينيه ويتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه لانه خوف تيس انما
الخائف الخوف المحمود من يترك ما يخاف ان يعذب هو عليه اي بسببه فالخوف المحمود ما صار العبد على الاخلال
بشيء من المامورات او الوقوع في شيء من المنهيات واذا سكن الخوف القلب فان توالى عليه احرق مواضع
الشهوات منه وطرد عنه رغبة الدنيا وا اعلم ان الخوف يتنوع بتنوع المخوف منه وان توالى على العبد
يرقيه الى عالي الدرجات ويحفظ عليه ما يخاف منه الفوات قوله والرجا هو بالمد وسببه الدوام على الاعمال
الصالحة وهو ممدوح ومطلوب قال بعضهم الرجا ثقة الموجود من الكريم الودود وقيل الرجا رؤية الجلال
بعين الجمال وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل الرجا تعلق القلب بمحبوب من جلب نفع او
دفع ضر وسيحصل في المستقبل وذلك بان يغلب على القلب الظن بحصوله في المستقبل كما ان الخوف
نوع متعلق في المستقبل كما تقدم والفرق بين الرجا والتمني وهو طلب ما لا طمع في وقوعه كليت الشباب
يعود ان التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك صاحبه طريق الجهد والجد في الطاعات ويجلسه صاحب الرجا
فالرجا محمود والتمني مذموم ويستحب ان يجمع الرجا مع الخوف فلا يقتصر على احدهما دون الآخر فربما
يفضي الرجا الى المكر والخوف الى القنوط وكل منهما مذموم والمقصود من الرجا ان من وقع منه تقصير
فليحسن ظنه بالله تعالى ويرجو ان يمحو عنه ذنبه وكذا من وقع منه طاعة يرجو عنه قبولها واما
من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا اقلاع فهذا في غرور وما احسن قول ابي عثمان
الحيري من علامة الشقاوة ان تعصي وترجو ان تنجو وهذا كله متفق على استحبابه في حال الصحة
وقيل الاولى ان يكون الخوف في الصحة اكثر وفي المرض عكسه واما عند الاشراف على الموت فاستحب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1